المحاضرة رقم :04

محاضرات الدكتور طويل عماد مقياس تاريخ وحضارة المغرب القديم

السنة الثانية تاريخ المجموعة الأولى "أ"

الإمارات و الممالك المحلية القديمة

1- بعض الإشارات التي وردت في المصادر عن وجود ممالك محلية قبل الحروب البونية :

وردت إشارات في المصادر اللاتينية و الإغريقية عن وجود سلطة سياسية في بلاد المغرب منذ وصول الفينيقيين إلى سواحله، غير أننا لم نعرف هذه الممالك ولا حياتها الحضارية إلا بعد الصراعات التي عرفتها المنطقة و الذي كان المغرب القديم وسكانه طرفا فاعلا فيه سواء في الصراع الأول القرطاجي الإغريقي أو في الصراع الثاني القرطاجي الروماني، وعندما كان له هذا الدور الكبير بدأت المصادر الكلاسيكية تكتب عن سكان المغرب القديم وعن حياته الحضارية التي تختلف تماما عن الحياة عند الإغريق و الرومان، إلا أنها إشارات قليلة لا تشفي غليل الباحث للإجابة عن كثير من التساؤلات التي يطرحها، ومن الإشارات التي تدل على وجود ممالك محلية وطنية في بلاد المغرب القديم نذكر :

- ورد في أسطورة عليسة التي ذكرها جوستانjustin في مؤلفه اسم ملك ليبي يدعى حيرباص hirbas والذي طلب الزواج من الملكة عليسة، وهي إشارة عن وجود نوع من التنظيم السياسي أواخر القرن التاسع قبل الميلاد.

- كذلك ما ذكره جوستان عن الضريبة التي كانت تدفعها قرطاجة للسكان المحليين منذ تأسيسها سنة 814ق.م إلى غاية منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وما انجر من انعكاسات عليها وعلى بلاد المغرب بعد معركة هيمرا سنة 480ق.م.

- كما ذكر جوستان ملك موري استنجد به القائد القرطاجي حنون للاستيلاء على السلطة في قرطاج وهذا في حدود القرن الرابع قبل الميلاد .

- تكلم ديويور الصقلي في مؤلفه عن تحالف الملك الليبي ايلماسylmace مع القائد الإغريقي اغاطوكليسaghatoklis أثناء الحملة التي قادها هذا الأخير إلى شمال إفريقيا ضد قرطاج أواخر القرن الرابع قبل الميلاد 310 ق.م .

ومن الآثار المادية التي تدل على ذلك أيضا ضريح المدغاسن الذي يرجع تاريخ تشييده حسب علماء الآثار والمؤرخين إلى القرن الرابع قبل الميلاد والذي يعتقد انه قبر لأحد ملوك العائلة النوميدية التي ترجع إلى أجداد الملك النوميدي ماسينيسا .

كل هذه الإشارات تدل على وجود أنظمة سياسية في بلاد المغرب القديم تعاملت مع الفينيقيين منذ وصولهم إلى سواحل شمال إفريقيا واستمرار التطور السياسي و الاجتماعي في المنطقة مع تطور الأحداث فيها إلى جانب قرطاجة ثم الرومان فيما بعد .

2- الممالك المحلية القديمة :

- **الماسيل أو نوميديا الشرقية** : تدعى ماسيليا نسبة إلى قبائل الماسيل التي أسست هذه المملكة، تمتد من الحدود القرطاجية شرقا إلى رأس بوقرعون غربا والقبائل الجيتولية جنوبا، عاصمتها سيرتا، وأقدم ملوكها نجد غايا أب الملك ماسينيسا ، تطورت نوميديا كثيرا في عهد الملك ماسينيسا الذي استطاع توحيدها وإحياءها اقتصاديا وتأسيس دولة قوية تنافس أقوى الدول القديمة والتي استمرت لمدة زمنية طويلة بعد وفاته .

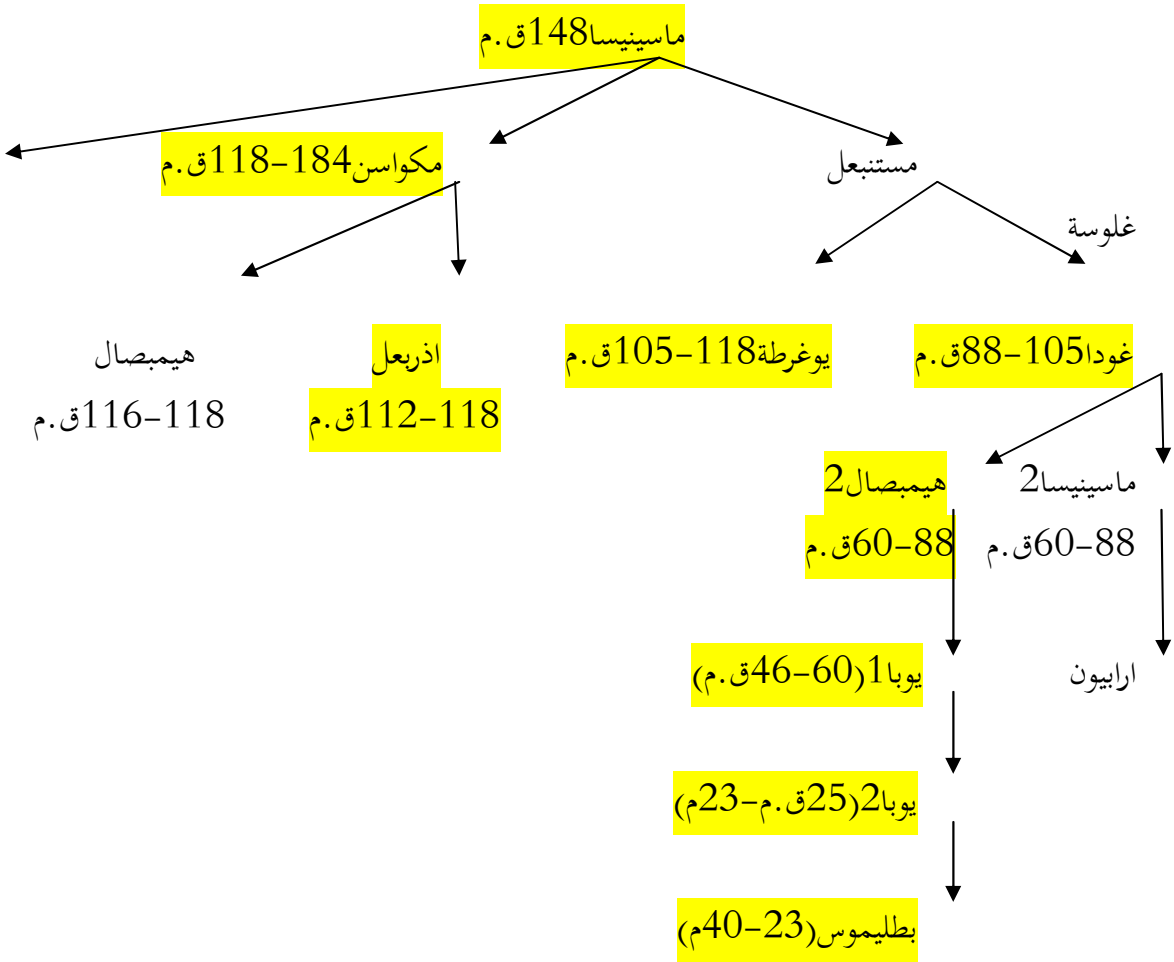

ملوك الأسرة الماسيلية بعد الملك ماسينيسا

-**المازيسيل أو نوميديا الغربية** : تدعى ماسيسيليا نسبة إلى قبائل المازيس التي انفصلت عن الأولى سياسيا لأسباب مجهولة، تمتد مملكة الماسيسيل من الشرق رأس بوقرعون وهو الحد الفاصل بين مملكة

الماسيل و المازيسيل إلى واد ملوية غربا الذي يفصل بين مملكة المازسيسل و مملكة المور ، أما جنوبا فتنتشر قبائل الجيتول في الأراضي الصحراوية وعاصمتها سيغا siga أقدم ملوكها هو سيفاكس، وقد تميزت بخصوبة أراضيها وانتشار زراعة الحبوب أكثر من نوميديا الشرقية وتربية المواشي .

– **مملكة موريطانيا** : تمتد مملة المور من واد الملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والقبائل الجيتولية جنوبا، أقدم ملك لها نجد باغاbaga الذي ساند كثيرا الملك ماسينيسا لاسترجاع مملكة أبيه التي استولى عليها الملك الماريسيلي صيفاقص، الأمر الذي يوحي بالعلاقات السلمية و المتطورة بين الماسيل و المور .

توسعت مملكة موريطانيا على حساب نوميديا مرتين، الأولى كانت في عهد بوخوس بعد نهاية حرب يوغرطة سنة 105ق.م وصلت في توسعاتها شرقا إلى واد الصومام تقريبا والمرة الثانية بعد انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس سنة 46ق.م حيث توسع بوخوس الثاني شرقا إلى غاية الواد الكبير تقريبا .

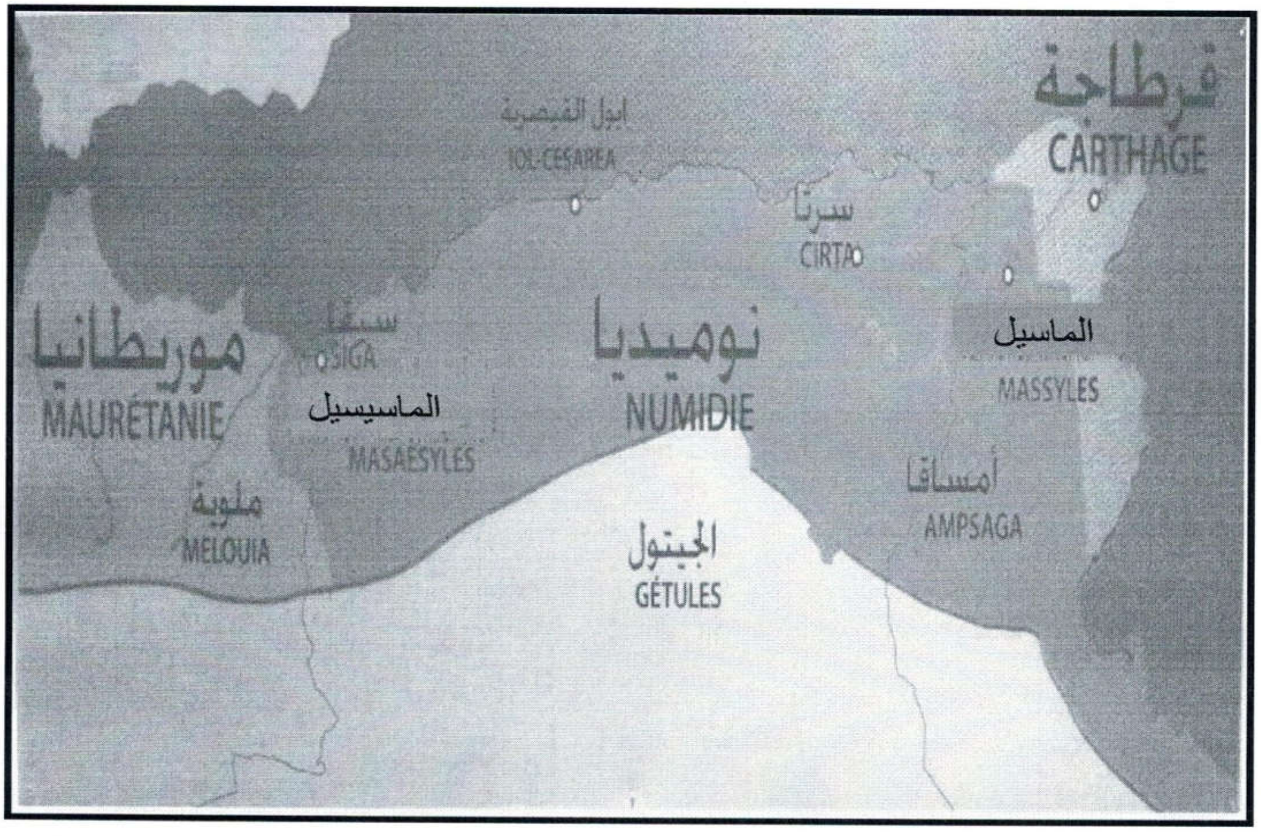

خريطة رقم 04: تمثل الممالك النوميدية

3– المظاهر الحضارية للممالك النوميدية :

1– الحياة الاقتصادية و الاجتماعية : مارس سكان بلاد المغرب القديم عدة أنشطة لكسب معيشتهم، منها الصيد إلى جانب الزراعة وتربية الحيوانات(الأغنام، الأبقار والثيران، الأحصنة، الجمال، الحمار النوميدي) فقد اهتموا كثيرا بتربية و صيد الحيوانات المفترسة التي كانت مطلوبة في الأسواق الخارجية القرطاجية الرومانية و الإغريقية، مثل بيض النعام وريشه وأنياب الفيلة التي يستخرج منها العاج وجلد الأسد والقردة التي كانت تملأ بيوت الطبقة الارستقراطية بالخارج وبعض الحيوانات النوميدية كانت تستعمل للترفيه في المسارح الرومانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد مثل الأسود الفيلة النمور النعام....الخ.

والزراعة عند النوميديين قديمة جدا تعود إلى الفترات المتأخرة من العصور الحجرية خاصة زراعة الحبوب، وقد وجد في النقوش الجدارية بمنطقة الطاسيلي عروض ومشاهد تظهر إجراء الزرع والحصاد الذي كان يتم على ضفاف البحيرات و الأنهار، أين استعملوا في ذلك فؤوس يدوية ومطاحن الحبوب وحجارة مسقولة وفخار ، وسيتم فيما بعد استخدام المحراث، كما عرفوا المجرفة واستخدموا الثيران لحرث الأرض واستخدموا المنجل في الحصاد ، وعرفوا التخزين والمطامير ويظهر تطور الزراعة بشكل كبير في فترة حكم الملك ماسينيسا .

كما اهتم النوميديون كثيرا بالزراعة الشجرية خاصة الزيتون والكروم والتين ذلك لأهميتها في الحياة اليومية للفرد المغاربي القديم قبل مجيء الفينيقيين، حيث كانت زراعة الزيتون منتشرة بشكل كبير وحيث كان استعمالها كثيرا في الحياة اليومية للتجارة والأكل والإنارة وفي الحمامات لدهن أجسادهم....الخ.

أما الصناعة في نوميديا فيمكن معرفتها من خلال النقوش والآثار القديمة، فقد تعددت الصناعات النوميدية حيث كان الحرفي النوميدي يمد المزارعيين بمختلف الأدوات الفلاحية مثل المحراث، المجرفة، عربات النقل، والمنجل ، ويمد الجيوش بمختلف الأسلحة مثل الحراب، الخنجر، والسيوف، والرماح، ونجد أيضا حرفيين متخصصين في البناء و النجارة و الحدادة، ونجد مهنة النسيج وهي مشهورة منذ القدم ذلك لتوفر مادة الصوف كما انتشرت الصناعة الفخارية بمختلف أنواعها والصناعة الغذائية و التحويلية .

وفيما يخص التجارة فقد انتشرت بشكل واسع خاصة في المدن الكبرى الساحلية و الداخلية أين توفرت الأسواق التي يتم فيها الشراء والبيع بين مختلف شرائح المجتمع من تجار فلاحين وحرفيين وعادة يكون البيع عن طريق المقايضة وقد كانت التجارة على نوعين داخلية و خارجية حيث كانت هناك علاقات تجارية بين الممالك النوميدية فيما بينها ومع قرطاج والإغريق والرومان ودول الشرق الأدنى .

أما الحياة الاجتماعية فيمكن اعتبار سكان بلاد المغرب من الشعوب القديمة التي تتناول بكثرة القمح والحبوب الجافة كالعدس و الحمص وزيت الزيتون، وقد تأثروا كثيرا بالعادات الغذائية القرطاجية كصناعة الخبز من دقيق القمح والشعير وصناعة الحلويات، كما اشتهر المغاربة بتناول الحساء الذي كان يتم صنعه بخلط الطحين والماء ويخلط جيدا ثم يضاف له الجبن والعسل والبيض ثم يخلط جيدا ، كما أكل المغاربة مختلف الخضر الموجودة في المنطقة وما كانوا يصطادونه من الخنزير البري و الغزال والأرانب البرية والحجل ولحوم الحيوانات الأليفة المستأنسة كالأبقار، الغنم، الماعز، الطيور، والكلاب، والأسماك ....الخ.

2- الحياة السياسية: ساد النظام الملكي الوراثي في الممالك النوميدية، والملك خاص بالذكور دون الإناث، وكان النظام قبليا يعتمد على القبيلة في الحياة السياسية أو على شكل مملكة يحكمها ملك أو قائد من الطبقة الارستقراطية الحاكمة، حيث ينتقل الحكم بعد وفاة الملك إلى الأكبر سنا في العائلة المالكة ولا يقتصر ذلك على أبناء الملك بل على الأكبر سنا في العائلة المالكة التي تنتمي إلى الجد الأكبر.

وهذا الانتقال نجده بعد وفاة الملك النوميدي غايا سنة 206ق.م حيث انتقل الملك بعده إلى أخيه اوزالساس ولم يتنقل لابنه ماسينيسا لفارق السن بينهما، ولكن نجد تغييرا بعد وفاة الملك ماسينسا سنة 148ق.م حيث تم تقسيم الملك بين أبناءه الثلاث مكيبسا غلوسة و مسنتبعل ونفس التقسيم حدث بعد وفاة مكواسن سنة 118ق.م حيث قسم الملك بين أبنائه الثلاث اذربعل وهيمبسال ويوغرطة ابنه بالتبني ، ونجد طريقيتين تقريبا في انتقال الملك الأمر الذي يدفعنا للاعتقاد أن طريقة انتقال الملك تتأثر بالظروف الداخلية وربما الصراعات على الملك الأمر الذي يحتم على الملك سن قوانين جديدة تنظم ذلك وتمنع الصراعات على الملك.

وكان يساعد الملك في تسيير مملكته أفراد من العائلة والأقارب الحاشية وبعض رؤساء القبائل ، كما يمكن أن يكون هناك تنظيم إداري قبلي ورتب إدارية خاصة بالنوميديين منها مجلس استشاري وولاة وحكام يتولون مهمة جمع الضرائب وممثلين للملك في مختلف المناطق ينوبون عنه.

ملوك العائلة الماسيلية قبل حكم الملك ماسينيسا

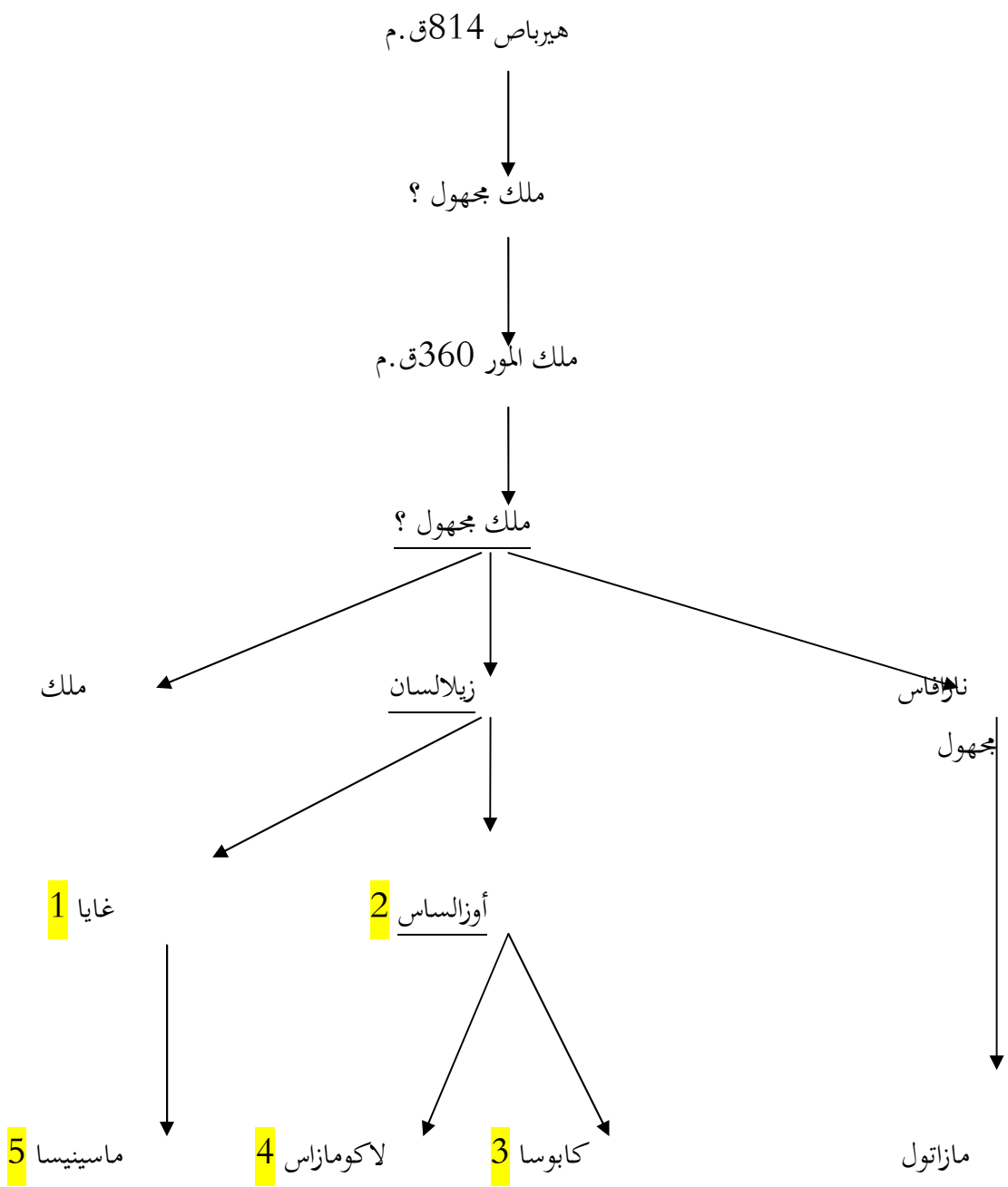

3- التنظيم العسكري : اهتم الملوك النوميد بالجانب العسكري كثيرا لأنه يمثل هيبة وقوة الدولة عندهم في ظل الصراعات الداخلية والخارجية التي كانوا يواجهونها، فقد استعان الملك سيفاكس بخبراء عسكريين من الرومان لتطوير جيشه وإنشاء فرق عسكرية وتنظيمها على الطريقة الرومانية حسب تيت ليف ، وكان للملك ماسينيسا جيشا قويا قادرا على خوض أقوى الحروب وتظهر ضخامة الجيوش النوميدية من خلال إمداد الملك بوخوص للملك ما سينيسا بقرابة أربعة ألاف فارس لمرافقته إلى مملكته .

وكان الجيش عند النوميد يتكون من جيش دائم وأخر احتياطي يتم الاستعانة به في وقت الحرب ويسرح بعد ذلك، وكان الجيش الدائم يضم الحرس الملكي ومجموعة من الحاميات في مختلف المناطق تحت قيادة قادة عسكريين يتولون تدريب الجيش وتسليحه وهو يضم فئة الفرسان والمشاة .

ومن الممكن استخدام المرتزقة كجيوش مساعدة للجيوش النوميدية في الحروب ضد العدو فقد تحدث ساليست عن وجود جنود ليقوريين وتراقيين في جيوش يوغرطة في حربه ضد الرومان كما استعان يوبا الأول بالمرتزقة من الاسبان والغاليين لتقوية جيوشه في الحرب التي خاضها ضد قيصر ، وقد استعمل سكان المغرب القديم أسلحة حربية متنوعة مثل الرمح والدرع ذات الشكل البيضاوي والقوس والخناجر والسيوف وكانوا يمتطون الخيول دون سرج كما استعمل المغاربة في حروبهم الفيلة .

كما كان لنوميديا عدة موانئ في عهد الملك ماسينيسا وتوسعت الحياة الاقتصادية بشكل كبير في مختلف المناطق الأمر الذي أدى إلى انتشار الأسواق في كامل المناطق ولتنشيط الحركة التجارية نحو الأسواق الخارجية وتصدير الفائض من الإنتاج وكان من الضروري امتلاك أسطول بحري تجاري وأخر حربي لحماية السفن من القرصنة في المتوسط وحماية السواحل النوميدية من الأخطار الخارجية.

4– الحياة الدينية و الفكرية : عبد سكان بلاد المغرب القديم عامة والنوميد خاصة مختلف الظواهر الطبيعية ومختلف الآلهة سوءا كانت محلية آو مقتبسة، منها الحجارة المقدسة و الحيوانات(الكبش الثور الحصان الأسد)، والكواكب والأنهار ، ومن أشهر الآلهة التي عبدها النوميد نجد الإله بعل أمون وتانيت ، وقد وجدت إشارات كثيرة تدل على تقديم القرابين للآلهة في الأعياد والمناسبات الدينية وتطور ذلك إلى تقديم قرابين بشرية إرضاءا واستعطافا للآلهة وقد أدخلت هذه الشعيرة وتقديم الأطفال قربانا للآلهة ربما عن طريق الفينيقيين وهو تقليد قديم انتشر عند الكنعانيين والشعوب السامية الشرقية .

كما دفن الفرد المغاربي القديم موتاهم في مقابر على شكل دائري أو بيضاوي أو مربع أو هرمي أو مخروطي وهو عبارة عن ركام من الحجارة يسمى "بازيناbazinas" وقد وضع النوميديين جثة موتاهم في أشكال مختلفة مقرفصة خاصة في الصحراء أو ممدودة في مصاطب أو في حوانيت وهي قبور على الصخور يدفن الميت فيها في هيئة مقرفصة، كما استخدموا طريقة حرق الجثة ولوحظ ذلك في معبد الخروب ومعبد المدغاسن وكان الميت يدفن معه أدواته التي كان يستعملها في حياته وهو الأثاث الجنائزي.

عبر الإنسان المغاربي القديم عن فكاره عن طرق النحت والنقش على الصخور في المراحل الأولى قبل أن يبتكر كتابة بحروف يمكن من خلالها إيصال أفكاره تعرف باسم "الكتابة الليبية " وتكتب إما أفقية من اليمين إلى اليسار أو عمودية من الأعلى إلى الأسفل وعدد حروفها 23 حرف وقد انتشرت الكتابة الليبية في كامل شمال إفريقيا في عهد الملوك النوميد .